

4- الصوت

رنيم محمد

كعادتي استيقظت من نومي وبداخل رأسي نفس الفكرة التي تراودني منذ عدة أشهر لكنني أخشى أن أذهب لكن هذا الخوف ليس أكثر من خوفي أن أبقى هنا، أبقى ولا أفعل شيئاً فإن كان لدى أي شخص سبب لفعل شيء، إذن فما السبب لدى لعدم فعل أي شيء؟؟

لكن هذه المرة كان الأمر مختلفاً فاليوم أنا ذاهبة وبلا تراجع عن هذا.. ترددت كثيراً وأنا في طريقي للذهاب لكنني على أية حال أنا من اتخذ القرار، وعليّ تحمل مسؤولية هذا.. وها أنا الآن هنا أجلس في هدوء لانتظر دوري من بين القليل من الأشخاص.

"اتفضلي يا أستاذة سلا دكتورة مارفي بانتظارك"

قطع ذلك الصوت تفكيرتي، فوجهت أنظاري إلى مساعدة الطبيبة وتصنعت الابتسامة، نظرت إلى الباب وتخيلت مشهداً كاملاً أرى فيه نفسي وأنا اركض لأخرج من كل هذا كما كنت أفعل عندما كنت صغيرة فأنا أكره جميع الأطباء ولكن هذا لم يحدث فأنا لم أعد صغيرة اليوم.. والآن لقد حان دورك يا عزيزتي فعليكِ الذهاب لمواجهة نفسك بالداخل، ولجبت إلى غرفة الكشف لتلاقيني تلك الطبيبة التي صدمت من صغر عُمُرها ولكن في نفس الوقت أعطاني ذلك بعضاً من الأريحية.. لتبدأ هي بالحديث وهي تصافحني وتشير لي بالجلوس قائلة:-

- مرحباً.. أنا الطبيبة مارفي ماذا تحيين أن أنادينك؟

- سلا

حسناً سلا.. ما هي مشكلتك؟

نظرت إليها ولقد فقدت كل شيء في رأسي لأقوله فما الذي أتى بي إلى هنا!! أنا لا أعلم ما الذي أريد المساعدة به.. ماذا أقول؟؟، هل أقول لها أن تمنع أحلامي السخيفة من الظهور مرة ثانية؟ أم أقول لها أن تعطيني بعض الحبوب لتمنعي من النوم لأتخلص من هذا الصوت اللعين؟ ثم قطع كل هذا التفكير صوت مارفي وهي تبتسم قائلة:-

- لا داعي لكل هذا القلق فقط تكلمي عن أي شيء تريدينه فأنا مستمعة جيدة

- حقا لا أعلم ما الذي عليّ قوله لكنني أصبحت سجيئة ساعات نومي القليلة من الليل فصوت أحلامي يلاحقني في كل مكان.. فهو يريد قتلي.. يريد هلاكي بالكامل!، والأدهى أنه دائما ما يتعمد ألا يراني ففي كل ليلة يحاول إثبات حقيقة عدم وجودي.. لا.. لا هذا ليس بحقيقة أنني موجودة.. أنت تلاحظين وجودي.. صحيح؟؟

- اهدأي ياسلا.. أنت هنا.. أنني أراكِ اطمئني.. هل تشرحي لي أكثر عن الأمر.. ماذا ترين في هذه الأحلام؟

- يمر هذا كل ليلة أمام عيني كفيلم قصير فأرى نفسي في كوخ كبير شديد الظلام لا يوجد له لأية أبواب وكأنه صنع ليظل مغلقا للأبد ثم اسمع صوت يردد في قوة لم أر مثلها في حياتي "لا يوجد سبيل اليوم لخروجك ياسلا" ومن بعد ذلك يبدأ الكوخ يضيق أكثر فاكثر ثم يتلاشى كل شيء حتى وجودي لم يعد وكأنني سراب في سراب..

أنهيتُ سردي لحلمي المزعج وأنا أنظر لها متوسلة أن توقف هذا، فتحدثت قائلة:-

- وماذا أيضا؟

- كنت أرى نفسي واقفة بداخل غرفة مليئة بالعديد من المرايا لكنني لم أر انعكاس جسدي بأي واحدة فكنت التفت حولي في جنون وضياح أملا

في أن أرى نفسي.. لكنني وكأني لم أكن ثم يبدأ إحساسي بنفسي ينعدم فلم أعد أشعر بوجودي على الإطلاق فأنا لست هنا في أي مكان.

نظرت إلي مارفي بعد أن لاحظت توتري الزائد فقد كنت ارتجف بشدة وكادت دموعي أن تتساقط بلا توقف.. ثم قالت

- إذا لا تريدن التحدث أكثر عن هذا فلا بأس.

نظرت إليها بعد أن أخذت نفسا طويلا:

- لعلها تكون نجدي فهذا يومي الذي لطالما انتظرت مجيئه وها قد جاء.

- حسنا.. لنكمل حديثنا.. ماذا تشعرين حينما تواجهين هذه الأحلام

ليلا بمفردك؟؟

- أشعر أنني غير قادرة على مواجهه هذا.. لا أستطيع تقبل عدم وجودي وأنا حية.. فيموتك تعلمي أنه قد انتهى كل شيء ولكن الآن ينتهي كل شيء أنا ما زلت أحياء.

- وماذا تشعرين تجاه هذا الصوت الذي يتردد كثيرا في أحلامك؟

عقدت حاجبي عندما ذكرتي بذلك الصوت وكأني أخشاه قبل أن

أجيب:-

- لا أستطيع تحمل سماعه فأنا أكرهه كثيرا.. كلما تحدثت أشعر أن

صوته يلتف حول عنقي فأنا اختنق الآن لا مفر.

- وهل يأتي في يومك أم فقط في أحلامك؟

- فقط ليلا فهو جبان لا يأتي سوى في الظلام.. إن الظلام يخيفني

كثيرا لا تسمعين به سوى سماع صوت أنفاسك المضطربة لتزيدك خوفا وظلما.

- ومن ماذا تخافين أيضا؟؟

نظرت إليها وأنا ابتلع ريقى بصعوبة قبل أن أقول:-

- أخاف من ليل ظالم لا يوجد به سوانا.

- حسنا.. أتذكري أول يوم.. ماذا فعل وماذا قال لكي؟؟

نعم أتذكر هذا جيدا.. قبل عدة أشهر من الآن عدت إلى البيت بعد يوم طويل مع أصدقائي وقد غفوت دون شعور مني.. فرأيت نفسي بمكان فارغ ليس به شخص والظلام بكل مكان هناك فقد كنت ارتجف من شدة خوفي وسمعت صوتا لم أسمع مثل قسوته في حياتي قط كان يهمس في ثبات وسخرية:-

" سلاا.. سلاا.. اتسمعيني! هيا يا عديمة الفائدة"

- من أنت؟

- لا يهم.. فالأهم أنك هنا الآن.

- وأين أنا؟

- أحقا! تريدان أن تعرفي؟ لماذا تهتمي الآن وأنت لم تهتمي بأي شيء في حياتك.. اومئي برأسك مع ابتسامة صغيرة وقولي نعم كعادتك.. فهمتي يا عديمة الفائدة؟!

انتهيت من سرد كابوسي الأول ثم تناولت في يدي كوب الماء الذي قدمته لي مارفي ورشفت منه القليل.. ثم أكملت قائلة:-

- بعد هذا استيقظت من نومي بعد ذلك ولم أكن اهتم بالأمر فقدت ظننت أنه ليس سوى حلم سخييف لشدة إرهاقي وعدت للنوم مرة ثانية.. ولكن هذا لم يحدث فالأمر ظل يتكرر مرارا حتى أصبحت زيارته لي دائمة كل يوم، وأخذت حياتي من بعد ذلك تنتهي أمام عيني فابتعدت عن جميع من حولي، أصبحت أخاف من كل شيء حتى سريري كنت أتفادى الاقتراب منه.. أنني مدمرة بالكامل لم أعد احتمال كل هذا لم أعد..

- لا لم أعد أهتم لذلك.

- ولكن اليوم عليكِ معرفتي.. أتذهبي معي؟

- حسنا.

ذهبت خلف ذلك الصوت حتى وصل بي عند مرآة قبل أن يقول:-

- هيا انظري ها أنا هنا.

ما هذا أنها مجرد مرآة!!

- لا انظري جيدا.. أني هناك بداخلها

- لا أرى سوى نفسي بداخلها.. لا وجود لك

عادت ضحكاته التي كنت أكرهها، قبل أن يقول:-

- حسنا.. وهذا كل الأمر

- لست سوى صرختك التي اعتدتِ كتمانها يا سلا..

ثم استيقظت وفي رأسي الحديث الذي دار بيني وبين مارفي آخر ليلة
فعادت ذاكرتي إلى الخلف مستعرضة ذلك الحوار:-

مارفي: أتري أن هذا الصوت هو المشكلة يا سلا في الحقيقة؟!

- نعم هذا صحيح.. فإذا زال فساكون بخير وسأصبح سعيدة..

- لكنني لا أري هذا

- ماذا تقصدين!!

- أنتِ بخير يا سلا.. ماذا بك؟

- أنتِ تعلمين.. هذا الصوت يريد فهو يريد قتلي يريد أن..

قاطعت جملي لتسأل وقد تغيرت نظراتها إلى القسوة قائلة:-

- حسنا.. وماذا في هذا يا سلا؟! إذا كان يريد قتلك لم لا تواجهيه لم كل هذا الخوف أنه مجرد صوت ضعيف غير قادر على الظهور أمامك.. لا أحد يستطيع هلاكك يا سلا ما لم تسمحي له بذلك أولا..

- لكنني غير قادرة على المواجهة.. أريد المساعدة كيف أخلص منه..

- حسنا.. فهذا اختيارك بأن لا تختاري شيئا .. أنتِ وحدك من يستطيع فعل هذا.. أنتِ من تقف أمامك يا سلا!!

أنت فقط من يريد هلاكك.

ابتسمتُ بعدما تذكرت حديثها الذي ختمته قائلة:-

فأحيانا تكمن المشكلة بأنه لا يوجد أية مشكلة على الإطلاق.

احذر وحاول كتمان أنفاسك قدر المُستطاع، فهي تراقبك الآن.. تلك العجوز ذات الشعر الأشيب.. تشاهد اتساع حدقتي عينيك وتبتسم وتزحف بجسدها ذي الأرجل المقطوعة، تحفر بمخالها في الأرض.. إنها قادمة.. فقد حان الوقت لرد (الدين).

أظنها ترهات؟!.. إلا تعلم أن النفس البشرية أشد ظُلمة ورعبًا من عالم الماورائيات؟!

على أي حال، قد حذرتك.. فإن أقلت من هذه العجوز فلا فرار من تلك الطفلة ذات الحرق بذراعها الأيسر.. ستأتي إليك لتروي لك وتريك ما (حدث في العاشرة ونصف)